النشاط الاقتصادي لمدينة خورفكان (١٨٩٢-١٩٧١)[*]

باحثة ماجستير/ شما سليمان عبد الله النقبى
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة الشارقة
تحت إشراف الدكتور:
د. ماهر عودة قالم الشمايلة
أستاذ مشارك قسم التاريخ (مسار الارشاد السياحى)
كلية الآداب والعلوم وتقنية المعلومات
جامعة خورفكان – الشارقة

الملخص

يُعد الرصيد الوثائقي بالأرشيف الوطني الإماراتي والمراكز التابعة له مصدرًا أساسيًا يتناول البحث تاريخ ميناء خورفكان ودوره الاقتصادي الكبير لإمارة الشارقة خاصة وللإمارات العربية المتحدة عامة، فميناء خورفكان من أهم الموانئ الطبيعية في البلاد منذ القدم، كما أن له دوراً اقتصادياً كبيراً نتيجة للنشاط التجاري الكبير الذي قام به سكان المنطقة منذ القدم.

وكان ميناء خورفكان مزدحمًا بالسفن التجارية الكبيرة التي تنقل البضائع من الهند وغيرها من المناطق منذ العصور القديمة مما يدل على أنها كانت ميناء تجارياً هاماً، وأن التجارة البحرية كانت تدر دخلاً كبيراً على أهل المدينة، مما دفع مجموعة من التجار الأثرياء للإقامة في خورفكان

ونهدف الي معرفة مدي تأثر الأوضاع الاجتماعية لسكان خورفكان نتيجة النشاط التجاري والدور الاقتصادي لميناء خورفكان، وحرص القوي والدول المتعاقبة على السيطرة على خورفكان، كان وصول البرتغاليين إلى المنطقة بداية حقبة جديدة من النضال والفداء ضد المستعمر البغيض، وأبدى سكان خورفكان مقاومة كبيرة سطرتها كتب التاريخ

كما نسعى إلى معرفة ذلك الدور الذي قام به سكان خورفكان في الدفاع عن بلدهم ووطنهم ضد المستعمر، وقد قام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي في عام ٢٠١٩م بتخليد بطولات أهالي خورفكان بمقاومة البرتغاليين، من خلال نصب المقاومة الذي

---

[*] **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليه ٢٠٢٤، العدد الخامس والستون.**

أقامه في خورفكان.

ومعرفة الدور الاستراتيجي لميناء خورفكان حيث أنه غير خاضع للتحكم من جهة أخرى على مضيق هرمز مثلاً، حيث يمثل هو وميناء الفجيرة البديل الأساسي في حال تعطل الملاحة البحرية عبر مضيق هرمز وغلق الخليج العربي، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي المقارن والمنهج الاستقرائي، للوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة.

الكلمات المفتاحية: خورفكان، الميناء، الدور الاقتصادي، إمارة الشارقة

Economic activity of the city of Khorfkkan (1892-1971)

Abstract:

This study dealt with the history of The Port of Khorfkka and its great economic role for Sharjah in particular and for the United Arab Emirates in general, the port of Khorfkan is one of the most important natural ports in the country since ancient times, and has a major economic role as a result of the great business activity carried out by the people of the region since ancient times. The port of Khorfkan has been filled with large commercial vessels transporting goods from India and other areas since ancient times, indicating that it was an important commercial port, and that maritime trade was generating a large income for the people of the city, prompting a group of wealthy merchants to stay in Khorfkan.

The study aims to find out the extent to which the social conditions of the residents of Khorfkan are affected by commercial activity and the economic role of the port of Khorfkan, and the keenness of the strong and successive countries to control Khorfkan, The arrival of the Portuguese in the region was the beginning of a new era of struggle and redemption against the abhorrent colonizer, and the inhabitants of Khorfkan showed great resistance written by the history books.

The study wants to find out about the role played by the people of Khorfkan in defending their country and their homeland against the

colonizer, and in 2019 His Highness Sheikh Sultan al-Qasimi immortalization of the championships of the people of Khorfkan to resist the Portuguese, through the monument of resistance he set up in Khorfkan.

The study also to find out the strategic role of the port of Khorfkan, where it is not controlled on the other hand on the Strait of Hormuz, for example, where it and the port of Fujairah represent the main alternative in the event of the disruption of maritime navigation across the Strait of Hormuz and the closure of the Arabian Gulf, and the study aims to know the organizational aspects of the port of Khorfkan, the structure of the newly public port, and its equipment, warehouses and container terminal

The historical method, the comparative descriptive method, and the inductive method was used in this study to reach the desired results of the study.

Key Words : Khorfkkan , Post , Economic Role , Emirate of Sharjah.

يعد ميناء خورفكان[١] من أهم الموانئ الطبيعية، وهو أيضا أحد الموانئ والمنافذ الرئيسة للدولة على خليج عُمان، وتكمن أهميته أنه يقع خارج الخليج العربي، حيث يمثل هو وميناء الفجيرة البديل الأساسي في حال تعطل الملاحة البحرية عبر مضيق هرمز وغلق الخليج العربي. ومدينة خورفكان وأراضيها غير متصلة جغرافيا بأراضي إمارة الشارقة التابعة لها، حيث يوجد على هذا الساحل ثلاث مدن رئيسة تابعة للشارقة هي دبا وكلباء وخورفكان. وتمتاز شواطئها بمياهها المتماوجة بين الزرقة والاخضرار، رمالها ناعمة بيضاء تحوط بها غابات مترامية الأطراف من أشجار الغاف والسدر[٢]، وتحتضنها جبال عُمان بذراعين يمتدان على طول الساحل، لتضفي عليها ألواناً براقة.

وقد وصف المؤرخون والرحالة العرب الذين زاروا المنطقة مدينة خورفكان

على أنّها قرية حولها العديد من الحدائق والمزارع الكبيرة الجميلة، ويرجع سبب اهتمام الرحالة بتلك المنطقة لوجود مراكز تجارية تأتي اليها البضائع المختلفة من السند والهند والصين، وكان للتجار المسلمون زمام الأمور فيما يتعلق بالتجارة بين الشرق والغرب، وتنبه البرتغاليون لحجم التجارة في هذه المنطقة، ونجحوا في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ودفعهم ذلك إلى إرسال قوات عسكرية إلى المحيط الهندي والخليج العربي ليسيطروا علي التجارة العالمية، فاستولى البرتغاليون على صحار ومنها اتجهوا إلى خورفكان فاستولوا عليها، وقد حرص البرتغاليون علي بناء حصون وقلاع لهم في المنطقة مثل قلعة كلباء، وخورفكان، وكان وصول البرتغاليين إلى المنطقة إيذانا بمرحلة تاريخية جديدة، حيث عمدوا علي استغلال الموارد

- توحدت البلاد تحت حكم مركزي قوي.
- تحررت البلاد من الاحتلال البرتغالي البغيض
- انتهى الوجود البرتغالي في المنطقة العربية كافة.

جاء الهولنديون والفرنسيون والإنجليز إلى المنطقة، واتفقوا على المشاركة لتقاسم موارد المنطقة، لكن سياسة الإنجليز لم تكن تقبل بالمشاركة في المنطقة، لذا عملت على تصفية الوجود الهولندي والفرنسي من المنطقة. (٣)

وبسط القواسم نفوذهم على خورفكان والمناطق المحيطة بها في أوج قوتهم في القرن الثامن عشر الميلادي، ولقد حاول سلطان مسقط الاستيلاء على خورفكان بمساعدة الإنجليز لما لميناء خورفكان من أهمية لكنه فشل في ذلك، وأراد (سعيد بن سلطان) سلطان مسقط أن يحتلها في محاولة أخري عام ١٨٣٥م ولكن كان الشيخ (صقر بن سلطان) قد أعد أسطولاً ضخمًا لحمايتها هي ودبا الحصن. (٤)

وفي النهاية تم توقيع الاتفاقية عام ١٨٥٢م التي اعترف بها سلطان

مسقط سعيد بن سلطان البوسعيدي بحكم القواسم لساحل خورفكان والمنطقة المحيطة به واستقلالهم المطلق والكلي عن حكومة مسقط، لذا تناولت الباحثة ميناء خورفكان خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر تحديداً، وتوضيح الأهمية الاستراتيجية للميناء، وبعض جوانب تاريخ خورفكان ودور شعب المنطقة في الدفاع ومحاربة المحتلين والدور الاقتصادي لهذا الميناء العريق.

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في كونه محاولة علمية لدراسة ميناء خورفكان، وبذلك تتجسد أهمية الدراسة في التالي:

- دراسة ميناء خورفكان من الناحية الاقتصادية والتبادل التجاري وحركة مواصلاته، ولم يتطرق أحد الباحثين بشكل مفصل لدراسة ميناء خورفكان تاريخيا وجغرافيا، الأمر الذي كان دافعاً إلى دراسة هذا الموضوع
- تنبع أهمية البحث من تسليط الضوء على الأدوار الاقتصادية والسياسية لميناء خورفكان خلال عصور متعاقبة من تاريخنا العريق لذلك عملت على دراسة الميناء لما له من أهمية كبيرة بالنسبة لدولتنا

أهداف البحث :

١. التعرف على خورفكان التاريخية والجغرافية
٢. التعرف على الأنشطة الاقتصادية المختلفة لسكان خورفكان.
٣. التعرف على حرص الدول المتعاقبة في المنطقة على بسط نفوذها على خورفكان.
٤. التعرف على الأنشطة التجارية لميناء خورفكان.
٥. التعرف على تأثير الأحوال الاقتصادية على الوضع الاجتماعي لخورفكان.

حدود الدراسة:

١- الحدود المكانية: خورفكان (التابعة لإمارة الشارقة)

٢- الحدود الزمانية: (من القرن الثامن عشر حتي العشرين).

تساؤلات البحث :

١. ما سبب تسمية ميناء خورفكان بهذا الاسم؟
٢. ما أهمية ميناء خورفكان بالنسبة لدولة الامارات العربية المتحدة والخليج عموما؟
٣. ما سبب حرص الدول المتعاقبة علي الخليج العربي علي السيطرة على ميناء خورفكان؟
٤. ما الأنشطة التجارية لميناء خورفكان في العصر الحديث؟
٥. ما أثر النشاط التجاري لميناء خورفكان غلي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للإمارات؟

أسلوب جمع المعلومات:

استخدمت الباحثة أسلوبين لجمع البيانات في البحث:

أولا البيانات الأولية وتتمثل في

١- الملاحظة: من خلال الملاحظة العلمية المنظمة للمصادر والمراجع المختلفة التي تناولت موضوع البحث، وحرصت الباحثة على تحليل البيانات من تلك المصادر، كما قامت الباحثة بزيارة ميدانية لخورفكان، وتدوين بعض الملاحظات، وتمكنت الباحثة من جمع العديد من المعلومات التي تحدد بموجبها مشكلة الدراسة وعناصرها.

٢- المقابلات:

أجرت الباحثة العديد من المقابلات مع العديد من الشخصيات (عبد الله

سليمان المغني، راشد النقبي، غيرهم، وقد استفادت الباحث كثيراً من هذه المقابلات في جمع المادة العلمية، حيث تم تبادل الرأي حول موضوع البحث

ثانيا البيانات الثانوية :

تعددت مصادر البيانات الثانوية المستخدمة في البحث ومنها العديد من الكتب والدوريات والمقالات التي تعد مرجعا للباحث في هذا البحث

منهجية الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج التاريخي وذلك من خلال وصف وتسجيل الوقائع والأحداث الماضية، ودراستها وتفسيرها، ثمّ تحليلها استناداً إلى أسسٍ منهجيّة وعلميّة دقيقة، والهدف من ذلك الوصول لتعميمات وحقائق تساعدنا على فهم الماضي العريق لخورفكان والدور الاقتصادي الكبير لميناء خورفكان.

ويمكن تقسيم البحث الي عناصر رئيسية

أولا: الأهمية الجغرافية والتاريخية لخورفكان :

شهدت المنطقة قيام أقدم المستوطنات البشرية ظهوراً منذ العصور الحجرية، الامر الذي يدل على أهمية الموقع ونشاط المنطقة منذ القدم، وبدأت الأوضاع العرقية والبشرية تتغير في منطقة الخليج العربي وعُمان، حيث بدأت تتوافد قبائل عربية إلى المنطقة، للبحث عن أماكن جديدة يتوفر فيها الماء والكلأ وسبل الاستقرار، ورغم قدوم جماعات عربية إلى عُمان قبل هجرة الأزد[٥]، إلا أن هجرة الازد بقيادة مالك بن فهم تعد الأهم؛ لأنها غيرت مجري تاريخ المنطقة، حيث نجح الأزد في هزيمة الفرس وقاموا بطردهم من المنطقة[٦]، وتميزت خورفكان بطبيعة جبلية فريدة ومناخ جيد وموقعها علي ساحل البحر، فهي بيئة جبلية بحرية زراعية وصحراوية في وقت واحد، وهذه الهبات قد لا تتوفر في كثير من المناطق، كل هذه الصفات والخصائص التي تميزت بها خورفكان ساهمت علي استقرار الإنسان في هذه المنطقة منذ آلاف

السنين، حيث يتوافر الماء والتربة الصالحة للزراعة. ويقال إنها سميت خورفكان لأنها تقع على خور، وكلمة خور تعني الخَلِيجُ من البحْر. و (قيل) :مَصبُّ المَاءِ فِي البَحْرِ، وَقيل :هُوَ مَصَبُّ المياهِ الجَارِيةِ فِي البَحْر إِذا اتَّسَعَ وعَرُضَ. (٧)

وخورفكان تقع على خور بين جبلين ممتدين في البحر مثل الفكين أو ربما تعود التسمية إلى شخص سكنها قديما واسمه فكان، أو ان الموضع اسمه فكان وهو مطل على الخور، كما وصفها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) بأنها بلدة علي ساحل عُمان يحول بينها وبين البحر الأعظم جبل وبه نخل وعيون عذبة(٨)، ويرجع هذا الوصف إلي القرن السابع الهجري، آي قبل ثمانية قرون من الآن، ويدل هذا علي أهمية المدينة ومكانتها في ذلك الوقت.

كما ذكرها الرحالة ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧) في القرن الثامن الهجري، حيث قال مدينة ذات انهار وحدائق وأشجار ونخل، وأكثر هذه البلاد في عمالة هرمز، ويذكر انه هو الذي أطلق عليها اسم خورفكان فقال فكان بينهما خور(٩)

ومن خلال ما سبق يتضح ان خورفكان تمتعت في الماضي البعيد بشهرة واسعة، لما وهبها الله من مميزات قل إن تجد لها مثيل في غيرها من المدن، فلديها ميناء طبيعي لرسو السفن وحمايتها من التيارات الهوائية، ومكان لصيانة سفنهم، وسلسلة حبلية تشكل حزاماً أمنيا من الهواء والاعداء، بالإضافة الي البحر المليء بالخيرات، وامتلاكها رقعة زراعية، ومياه عذبة وثروة حيوانية كبيرة تنوعت من بين الخيول والاغنام والجمال، كل ذلك جعلها مقصد للتجار والرحالة والزوار والغزاة.

الأهمية التاريخية لخورفكان :

بدأ القواسم يتحدّون السيادة العُمانية في البحر؛ لانتزاع نصيب أكبر من

التجارة، ودار صراع بينهم وبين حكام آل بوسعيد لكسب السيادة والتفوّق. حرص الانجليز على عدم دخول قوي أوروبية اخري الي المنطقة أقاموا تحالفات مع حاكم مسقط وشاه فارس للسيطرة على المنطقة، والاستفادة من الضعف المفاجئ لأكبر دولتين في الخليج العربي عُمان وفارس. وكان القواسم ينظرون إلى البريطانيين بكثير من الشك لأسباب سياسية واقتصادية ودينية.(١٠)

وقد توغل الشيخ سلطان بن صقر القاسمي (١٧٨٠-١٨٦٦م) في المناطق الأباضية فاستولي علي كلباء بعد ان أستولي علي خورفكان ودبا، فأسس لأولاده إمارات جديدة فأعطي ابنه ماجد كلباء وابنه أحمد دبا وولي عمه رأس الخيمة واتخذ من الشارقة عاصمة له(١١)، ولقد حانت تلك الفرصة للشيخ سلطان بن صقر القاسمي عام ١٨٠٦م لتحقيق حلمه بأن يكون لإمارته القاسمية ساحل بحري يمتد علي خليج عُمان والمحيط الهندي؛ نظراً لوجود إضرابات وخلافات سادت عُمان،وعلي الإثر ذلك جهز جيشاً واحتل المنطقة الشرقية، وما إن انتهت الاضطرابات في عُمان حتي أخذ سلطان عُمان بفكر في استرجاع ما أخذه القواسم من مملكة عُمان، فأعلن العداء والزحف عليهم، وكانت أقرب بلدان القواسم اليه كلباء وخورفكان. (١٢)

وعزم سلطان عُمان علي مهاجمة خورفكان عام ١٨٠٨م ، وجاء الشيخ سلطان مسرعاً من رأس الخيمة من طريق غير الطريق الذي عسكر فيه العُمانيين في الجهة الشمالية من خورفكان، والتحقت به القبائل من الشمال والجنوب وتكامل عدد الجيش حتى بلغ ثلاثة ألاف مقاتل، زحف القواسم إلي خورفكان ودارت معركة شديدة بين الطرفين، وتكبد الطرفان خسائر كبيرة، وكان أكثر القتلى غرقًا، وانتصر القواسم في النهاية،وظلت خورفكان بعد ذلك في نزاع مستمر بين العُمانيين والقواسم حتي جاء عام ١٨٥٢م وتنازل السلطان العُماني عنها، وتم تجديد الاتفاقية مرة أخري بعد عشرين ستة بين الشيخ حمد ابن ماجد بن سلطان القاسمي وحاكم مسقط تركي بن سعيد بن سلطان (١٣)

واعتبرت السلطات البريطانية القواسم قراصنة، وانهم يمثّلون السبب الرئيس لكافة الأعمال غير القانونية القائمة في البحر؛ ولذلك قاموا بحملات ضدهم وضدّ حلفائهم. ففي عام ١٨٠٩م وقع هجوم على رأس الخيمة –وهو ميناء القواسم الرئيس– وعلى لنجه وغيرها من قواعد القواسم على الساحل الفارسي وانتهت الحملة بعقد معاهدة بعدم اعتداء القواسم على السفن البريطانية.، ودُمِّرت رأس الخيمة عام ١٨١٩م نتيجة حملة بريطانية ثالثة ضدّها، وبعد سقوطها تحوّلت الحملة إلى موانئ أخرى، حيث دُمِّرت الحصون والمعاقل والسفن الكبيرة في الشارقة وأم القيوين، وعجمان. لقد أزال إخضاع رأس الخيمة آخر الآثار لأيّ تحدٍّ للسيطرة البريطانية على مياه الخليج. وفي عام ١٨٢٠م أبرم البريطانيون معاهدة السلام العامة مع شيوخ عرب الساحل، وافق الحكام بموجبها على وقف الأعمال العدوانية في البحر نهائيًّا، وفرضوا – أيضاً– حظراً على بناء السفن الكبيرة، وتشييد التحصينات عبر الساحل(١٤)

ظهرت بعض النتائج الإيجابية بعد عام ١٨٢٠م من ارتفاع نسبة تجارة اللؤلؤ، وغياب الهجمات على النقل البحري الأجنبي، إلاّ أنّ المعاهدة رغم ذلك لم تؤدّ إلى وقف تامّ للحروب بين القبائل العربية في البحر؛ ولهذا السبب قام البريطانيون عام ١٨٣٥م بعمل نظام الهدنة البحرية لمنع الأعمال العدوانية والحروب في البحر في موسم الغوص فقط، ثم أصبحت الهدنة البحرية شاملة ١٢ شهرا، وقد نُفذ صلح مدّته عشر سنوات عام ١٨٤٣م وبدأت القوّات البحرية الهندية بحراسة مغاصات اللؤلؤ ومراقبتها كل عام. (١٥)

وفي تلك الفترة كان لخورفكان سفينة من نوع (البقارة)، تتاجر مع الهند وأفريقيا تزن مئتي طن، ولديها خمس سفن تجارية في الخليج، ولديها خمسون مركبا للغوص، وتدفع سنويا ضريبة للشارقة، بمقدار مئتين ست وستين روبية هندية فضية (١٦)

ومع بدايات القرن العشرين تراجعت خورفكان بسبب إهمال الإنجليز للمنطقة، وكذلك بسبب تراجع الدور التجاري بعد استخدام الانجليز لعدن قاعدة لهم، واستخدام السفن الكبيرة في نقل البضائع، ومضايقة البريطانيين للقواسم، مما أدي إلى تراجع اقتصاد خورفكان، وتناقص في أعداد سكانها، مع التحولات الجديدة التي فرضتها بريطانيا لمصلحة مواقع أخري في الخليج، فضلا على سياسة الاحتكار التي مارسها الإنجليز على نطاق واسع في الخليج العربي، وفي منتصف الستينات بعد دخول السفن ذات المحركات الميكانيكية، بدأت تغير أنماط الحياة، وتسهل طرق الانتقال خاصة إلي الكويت التي سافر إليها بعض أهالي خورفكان للعمل أو الدراسة، وفي تلك الفترة دخلت الخدمة مجموعة من البواخر الضخمة، وهي سفن تملكها شركة الملاحة البريطانية – الهندية، وصاحب كل هذا النشاط حركة في النقل من الميناء إلي البواخر وبالعكس. (١٧)

ثانيا النشاط التجاري لمدينة خورفكان وميناءها :

تميز مجتمع خورفكان بتنوع الأنشطة الاقتصادية، لم يقتصر أفراده علي ممارسة مهنة واحدة فقط، بسبب موقع المدينة الاستراتيجي،ووجود شاطئ ممتد دفع أهلها لممارسة مهن مرتبطة بالبحر، حرص أهلها علي ركوب البحر سواء للصيد أو التجارة أو السفر، وأخذ عدد السفن يزداد يوما بعد يوم،حتي أصبح أهل خورفكان يمتلكون أسطولا بحريا من السفن المتعددة الأغراض

- **تجارة السلع :**

كان أصحاب السفن التجارية من مدينة خورفكان يشحنون السفن بما يرونه صالحا لتجاراتهم حسب متطلبات الأسواق الأخرى، كالأسواق الهندية وبلاد سواحل شرق افريقيا وغيرها.حيث يتم نقل التمور والحبوب والاسماك المجففة. ويشمل التصدير أيضا المواد المستوردة والمعاد تصديرها كالأخشاب والقمح والسكر والذهب. (١٨)

واستورد تجار خورفكان من تلك الأسواق البضائع حسب حاجة السوق كالأخشاب والبهارات وأدوات الزينة والأرز والسكر وغيرها من احتياجات الأسواق. وكان التاجر من خورفكان يقوم بتجهيز بضاعة معينة لتاجر أخر عن طريق وسيط وهو الذي يقوم بنقل البضائع مقابل روبيات معدودة. وخلال هذه الرحلة،قد يمر النواخذة علي بنادر عدة،قبل وصولة للميناء المقصود،حيث يقوم بإنزال بضائع وتحميل أخري،فالمركب لا يكون خاليا من البضائع،وكلما توقف في ميناء أو بندر، اتفق مع تاجر علي توصيل بضاعتة لتاجر في ميناء أخر،هذا الشخص الذي يقوم بنقل البضائع، يكون معه دفتر كبير يحتوي علي أسماء التجار وأسماء الدول التي يوجدون فيها،ومجرد أن يقوم بنقل النواخذة بتوصيل البضائع للتاجر، فإن الأخير يقوم بإعطائه أجرته، وكانت السفن تسير في خطوط محددة لا تحيد عنها، وتتوقف في أماكن محددة في الموانئ التي تصل إليها، حيث أن الامر ليس عشوائيا، بل منظم وفق قوانين [١٩]

٢- النشاط البحري التجاري لميناء خورفكان :

تُعد مدينة خورفكان من الموانئ التاريخية في الساحل الشرقي، حيث عمل معظم أبنائها، في حرفة السفر والتجارة البحرية، واهتم أغلب سكانها بالأسفار وارتبطوا بالبحر ارتباطاً وثيقاً منذ قديم الزمان بحكم الموقع الجغرافي للمدينة، وامتدت رحلاتهم من الخليج العربي إلى أفريقيا من جنوبها إلى شمالها، ثم إلى سيلان والهند وباكستان. وسافروا للعديد من الدول والمناطق المجاورة، ومن الموانئ التي وصل إليها أهالي خورفكان في منطقة الخليج: مسقط والدمام والبحرين والكويت والبصرة، كما أن رحلاتهم تعدت إلى أبعد من حدود منطقة الخليج العربي حيث وصلت سفتهم التجارية إلى مدن اليمن كعدن وحضرموت[٢٠] وشرق إفريقيا كمدينة ممباسا وزنجبار وسواحل الهند مثل مومباي، حيدر آباد وجزيرة سيلان وباكستان وإيران، ناقلة البضائع إليها وعائدة

ببضائع أخرى من هناك. وكانت هذه السفن في بدايتها شراعية تعتمد على الرياح الموسمية التي تهب في فصول معينة من السنة، وقد برع عدد كبير من أبناء مدينة خورفكان في الملاحة البحرية، إذ كانوا يعتمدون في رحلاتهم على النجوم ليلاً، وقياس أعماق البحر والشروق والغروب، وقد اشتغل بعض هؤلاء الربابنة في نقل الركاب بين ميناء خورفكان وخارجها.وقد شهد ميناء خورفكان الطبيعي حركة تجارية نشطة على امتداد القرن العشرين، حيث كان يعج بالكثير من السفن الخشبية التجارية التي يمتلكها مجموعة كبيرة من أهالي خورفكان، بالإضافة للعديد من السفن الخليجية ومن جنسيات أخرى التي تتخذ من ميناء خورفكان وبندرها ملاذاً من تقلبات الطقس وللتزود بالماء والاحتياجات الأخرى من سوق خورفكان(٢١)

تعتبر الحقبة الواقعة بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٧٢ بالمعنى المجرد قفزة كبرى في التجارة والنشاط الاقتصادي فى الخليج. ولكن كان نصيب التجار والملاحين العرب قليل من النشاط الاقتصادي للمنطقة بالمقارنة إلى الأوربيين ووكلائهم والتجار الهنود المستوطنين الذين حصلوا على الجانب الأكبر من الأرباح الجديدة. وكانت أسوأ الأوضاع التي حاقت بمصالح سكان المنطقة هي عملية – التصاعد – فالركود – فالانتعاش التي سادت المناخ التجاري في الستينيات من القرن التاسع عشر(٢٢).

وازدادت التجارة في فترة الستينات من القرن التاسع عشر، وحققت الخطوط الملاحية للخليج والبواخر البريطانية أرباحا كثيرة من العمليات المذكورة، ولم تتوقف عن نشاطها خلال أوائل الستينيات. كانت هذه الفترة خاتمة المطاف بالنسبة للمرحلة المجيدة للملاحين العرب، اذ ان ذلك النشاط الملاحى والتجارى الذى بلغ ذروته إبان ذلك العهد، صم عاد فتدهور مع نهاية الحرب الأهلية الأمريكية، وظهور القطن الأمريكي في الأسواق العالمية (٢٣).

كانت الملاحة المحلية في الخليج الضحية الأولى للنكسة الاقتصادية ومنذ ذلك الوقت خفضت أجور النقل على البواخر البريطانية مما أدى إلى انتعاش تجارة الخليج في سنة ١٨٦٩م، وبالتالي أتاح لتجار المنطقة فرصة الممارسة نشاطهم في أسواق الهند من جديد، وأصبحت السفن المحلية عاجزة عن منافسة البواخر بصورة فعالة في ميدان النقل التجاري على خطوط الهند الخليج. وأخذ نشاط السفن المحلية يقتصر على العمليات الساحلية المحدودة والرحلات غير المنتظمة، أو على النشاط غير المسموح [٢٤].

وقد شهد القرن التاسع عشر تغيراً واضحاً فى صناعة بناء السفن حيث أدخل عليها المحركات وفي القرن العشرين ازدادت الصناعة تطوراً كبيرا حيث البوارج العملاقة حيث نقل البضائع يستحوذ من قطاع السفن على ثمانية وسبعين بالمائة، ولما كانت الملاحة البحرية تكتسب أهمية خاصة للدول التي تقع على المسطحات المائية حيث توجد الموانئ على خطوط الملاحة البحرية للبلاد الأجنبية [٢٥]

الخاتمة :

إن تاريخ ميناء خورفكان مشهور منذ القدم، حيث كانت بمثابة محطة رئيسية للتجارة العالمية ولا تزال كذلك، بفضل وجود ميناء طبيعي ليس له نظير في دولة الإمارات العربية المتحدة، يميزه عن غيره من الموانئ انه محاط من الجبال التي ساهمت في حماية المدينة والسفن الراسية في الميناء. وكما هو معروف أن مدينة خورفكان وطأت أرضها عدة أمم وشعوب، جاءت بهدف التبادل التجاري أو السيطرة عليها، مما جعل تاريخ المدينة فريدًا، وجعل مدينة خورفكان كالأم الحاضنة لكل الناس والاجناس.

إن تاريخ مدينة خورفكان يستحق دراسة دقيقة ومتعمقة، تشمل كل معالمها ونشاط أهلها عبر القرون المتتابعة وأهميتها الاستراتيجية والتاريخية،

لأنها من المدن التي ظهرت منذ القدم، ولم يكتب عنها إلا الشيء القليل من خلال من زارها من الرحالة والغزاة، وإن التحصينات العسكرية مثل القلاع والأبراج والاسوار فيها تدلل علي أهمية ومكانة خورفكان التاريخية البعيدة. فأرجو من الله لأن أكون قد وفقت في اصطحابكم معي لفتح نافذة علي مدينة خورفكان عروس الساحل الشرقي.

النتائج

استفادت منطقة الإمارات من موقعها الجغرافي الاستراتيجي، وأخذت تطور شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مركزاً تجارياً مهماً، ومنطقة عبور محورية للتجارة البحرية أو البرية، وقد امتلك بحارة الإمارات مهارات ملاحية مشهودة جعلت الملاحة الوجه الآخر لشخصياتهم وحولتهم إلى بحارة بالفطرة، فإن التجارة كانت الدافع الحقيقي لخوضهم غمار البحار والمغامرة سعياً إلى كسب الرزق، فقد شكلت التجارة جزءاً مهماً من الحياة اليومية للسكان على امتداد إمارات الساحل، ويمكن استعراض أهم النتائج في النفاط التالية:

١. ظهرت مكانة خورفكان وأهميتها البحرية من خلال المراكب والسفن التي كانت تصل وتغادر منها إلى بلدان عديدة من العالم
٢. اشتهرت خورفكان بالاتصال الخارجي مع المدن المطلة على الخليج العربي من جانبه الغربي والشرقي، وكذلك المدن المطلة على ساحل خليج عُمان وحضرموت وعدن والجزر المطلة على بحر العرب والمحيط الهندي وشرق أفريقيا وخاصة زنجبار والصومال.
٣. وقد شهد ميناء خورفكان تطورات هائلة في المنشآت والخدمات والتسهيلات وذلك لمواكبة تزايد الحركة التجارية في المنطقة، كما ارتفعت الطاقة الاستيعابية والتخزينية والحركة الملاحية وازداد بالتالي النشاط التجاري

للميناء.

٤. توفر في ميناء خورفكان إمكانيات فنية لتجعله مؤهلا أن يكون على نفس مستوي الموانئ العربية، وإن لم يكن أكثر تقدما نظرا لإمكانيته الفنية والتقنية المتميزة وبفضل الانفتاح التجاري والاقتصادي الذي شهدته خورفكان، أصبح هذا الميناء من أكثر المنافذ البحرية نشاطا وحيوية علي ساحل بحر عُمان، خصوصا في مجال النقل البحري

٥. إن مرفق النقل البحري قديم بالنسبة لسكان خورفكان، بل هو جزء من التقاليد الموروثة، حيث كانت المنطقة منذ القدم مركزاً لحركة تجارية بحرية ناشطة نظراً لامتداد سواحلها على بحر عُمان وقريبة من الخليج العربي، وخضعت تلك المرافق لعمليات التحديث والتطوير.

٦. تُعد مهنة الغوص من أقدم المهن فى منطقة الخليج العربى، ولا يعرف حتى الآن البدايات الحقيقية لهذه المهنة، وذكرها كثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا المنطقة أو الذين كتبوا عنها. كما تعد هذه المهنة نموذجاً لوحدة المنطقة ومدى صلة الترابط التي تجمع بين أبنائها بعد أن جمعتهم أمور أخرى كالانتماء القبلي الواحد والعادات والتقاليد المتشابهة.

٧. تأكيد للرؤية الثاقبة بأن هذا المنفذ البحري الأمن يلعب دوراً حيويًا هامًا في حماية مجمل اقتصاديات المنطقة، نظرا لموقع الميناء خارج مضيق هرمز وغير خاضع لتهديد او لسيطرة أي قوة معادية وبالتالي فإن العمل مستمر في ميناء خورفكان حتى في حالة غلق مضيق هرمز.

٨. كان ميناء خورفكان مملوءًا بالسفن التجارية التي تنقل البضائع الي العديد من المناطق، وكانت التجارة البحرية مصدر دخل كبير علس سكان خورفكان، وشجع ذلك علي إقامة بعض التجار الهنود الأغنياء في خورفكان

٩. تنوع مصادر الدخل لسكان خورفكان وزيادة السكان ساهم في ثراء المدينة،

واتسمت خورفكان بسمات المدن الكبيرة في تلك الفترة، وامتلك السكان عددًا كبيرًا من سفن الصيد، وكثير من الشباك مما يدل علي ازدهار مهنة الصيد، وكانت تعد موردًا مهما من موارد الدخل لسكان خورفكان

الهوامش:

(١) خورفكان : مدينة ساحلية علي شاطئ بحر عُمان،وتتبع إمارة الشارقة، وتلقب بعروس الساحل الشرقي،مزيد من التفاصيل انظر ابن بطوطة، ج٢،ص١٣٩

(٢) الغاف والسدر : الغَاف مِنَ العِضاه وَهِيَ شَجَرَةٌ نَحْوُ القَرَظ شَاكَّةٌ حِجَازِيَّةٌ تَنْبُت فِي القِفاف، ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٧٣

(٣) الاقتصادية للمنطقة، كان قيام دولة اليعاربة في عُمان ممثلة بالإمام ناصر بن مرشد (١)، نقطة تحول في تاريخ عُمان والخليج العربي ومنطقة المحيط الهندي:

(٤) ناصر بن مرشد (١٠٣٤-١٠٥ هـ / ١٦٢٤-١٦٤٩) مؤسس دولة اليعاربة، وقد اجتمع المسلمون على توليته إمامًا عليهم ؛ وذلك بعد فرقتهم، وحارب البرتغاليين واسترد منهم العديد من المدن ولم يبقي مع البرتغاليين عند وفاته سوى مسقط ومطرح انظر احمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي من عهد ادم حتي عصرنا الحاضر، ص٣٧٦.

(٥) النقبي، محمد خميس، خورفكان في ذاكرة الزمان، دار كتاب للنشر، ٢٠١٢، الطبعة الاولي،٢٠١٣، ص١٣٧

(٦) الجبوري،عبدالكريم، القواسم ودورهم في مقاومة الاحتلال البريطاني للخليج، تقديم محمد جاسم المشهداني، سوريا، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٣، ط١، ص٦٣).

(٧) قبائل الازد: قبائل هاجرت الي منطقة عُمان ، وبسطت قبائل الازد سيطرتها علي منطقة عُمان واضطر الفرس إلي التراجع نحو الساحل انظر عاشور، سعيد، تاريخ أهل عُمان، ص ٢٤

(٨) فيس، وليم،عُمان وتاريخها البحري، ط٢، سلطنة عُمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، مطابع النهضة، ٢٠٠٢ ص٢٥)

(٩) الزبيدي، تاج العروس من جواهر النفوس،٢٠٠١، ج١١، ص٢٣٢

(١٠) الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،،١٩٨٤، ج٢، ص٤٠٠.

(١١) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار،١٩٦٨ ، ص٢٦٢)،

(١٢) ليونوفيبش، ليونوفيبش،ميخين قيكتور،حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج، ترجمة سمير نجم الدين، مركز جمعة الماجد للتراث، دبي الامارات، ٢٠٠٩، الطبعة الاولي،ص١٢١)

(١٣) سنان، محمود بهجت: إمارة الشارقة، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٣٧).

(١٤) المطوع، عبدالله، عقود الجمان في أيام ال سعود في عُمان، تحقيق فالح حنظل، أبوظبي، ١٩٩٧ م، ط ١، ٨٢.

(١٥) السالمي، أبو بشير، نهضة الاعيان بحرية عُمان، مصر، مكتبة التراث، مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٩٨، ص٣١.

(١٦) السيابي، سالم بن حمود، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، مراجعة أحمد التدمري، ١٩٧٦، ١٥٩.

(١٧) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، قطر، ط ٣، ٢٠٠٢،٣٧٠.

(١٨) القاسمي، سلطان، صراع القوي والتجارة في الخليج العربي ١٦٢٠-١٨٢٠م،منشورات القاسمي، الشارقة،٢٠١٦،ص٧٨

(١٩) راشد، علي محمد، دارا... تيتانك الخليج، مطبعة راس الخيمة الوطنية، رأس الخيمة، ٢٠١٠، الطبعة الاولي، ص٢٤ .

(٢٠) المغني، عبد الله سليمان: تاريخ مدينة خورفكان الاجتماعي والاقتصادي في النصف الثاني من القرن العشرين، معهد الشارقة للتراث، ٢٠٢٠، الطبعة الاولي، ص٢٠٨.

(٢١) المغني، عبد الله سليمان: تاريخ مدينة خورفكان الاجتماعي والاقتصادي في النصف الثاني من القرن العشرين، معهد الشارقة للتراث، ٢٠٢٠، الطبعة الاولي، ص٢٠٤.

(٢٢) حضرموت :مدينة في اقصي اليمن،تنسب الي حضرموت بن سبأ الأصغر، راجع الزبيدي، ج٣١، ص٤٩٧.

(٢٣) المغني، عبدالله، تاريخ مدينة خورفكان، مرجع سابق ، ص.٢٠٤

(٢٤) لاندن، روبرت جيران،عُمان منذ ١٨٥٦مسيرا ونصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ٢٠١٦، ط٦، ص١١٣.

(٢٥) لاندن، روبرت جيران،عُمان منذ ١٨٥٦مسيرا ونصيرا، مرجع سابق، ص١١٤.

(٢٦) لاندن، روبرت جيران،عُمان منذ ١٨٥٦مسيرا ونصيرا، مرجع سابق،ص ١١٤-١١٥.

(٢٧) البارودى،على، مبادئ القانون البحري، المكتبة المصرية الحديثة،١٩٧٥، ص ٦.

المصادر:

١- ابن بطوطة،محمد بن عبدالله (٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ج٢

٢- ابن منظور،محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥

٣- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧، جزء ٢.

٤- الزبيدي، محمود مرتضي (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠)،تاج العروس من جواهر النفوس، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ٢٠٠١، ج ١١

٥- السالمي، أبو بشير، نهضة الاعيان بحرية عُمان، مصر، مكتبة التراث، مطابع دار الكتاب العربي ص٣١

٦- السيابي، سالم بن حمود، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، مراجعة أحمد التدمري، ١٩٧٦،

٧- ج، لوريمير: دليل الخليج، القسم التاريخي، قطر، ط ٣، ٢٠٠٢

٨- المطوع، عبدالله، عقود الجمان في أيام ال سعود في عُمان، تحقيق فالح حنظل، أبوظبي، ١٩٩٧ م، ط ١،ص٨٤

المراجع

١- البارودى، على، مبادئ القانون البحري، المكتبة المصرية الحديثة، ١٩٧٥.

٢- الجبوري، عبدالكريم، القواسم ودورهم في مقاومة الاحتلال البريطاني للخليج، تقديم محمد جاسم المشهداني، سوريا، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٣، ط١، ص ٦٣ .

٣- راشد، علي محمد، دارا... تيتانك الخليج، مطبعة رأس الخيمة الوطنية، رأس الخيمة، ٢٠١٠، الطبعة الاولي.

٤- سنان، محمود بهجت: إمارة الشارقة، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٧ .

٥- عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أهل عُمان، وزارة التراث القومي نسلطنة عُمان، ١٩٨٠م.

٦- فيس، وليم،عُمان وتاريخها البحري، ط٢، سلطنة عُمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، مطابع النهضة، ٢٠٠٢.

٧- القاسمي،سلطان بن محمد، صراع القوي والتجارة في الخليج العربي ١٦٢٠-١٨٢٠م، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٦.

٨- المغني، عبد الله سليمان: تاريخ مدينة خورفكان الاجتماعي والاقتصادي في النصف الثاني من القرن العشرين، معهد الشارقة للتراث، ٢٠٢٠، الطبعة الأولي.

٩- النقبي، محمد خميس: خورفكان في ذاكرة الزمان، دار كتاب للنشر، الشارقة، الطبعة الأولي، ٢٠١٣.

١٠- لاندن، روبرت جيران،عُمان منذ ١٨٥٦مسيرا ونصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ٢٠١٦، ط٦.

١١- ليونوفيبش، ميخين قيكتور،حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج، ترجمة سمير نجم الدين، مركز جمعة الماجد للتراث، دبي الامارات، ٢٠٠٩، الطبعة الأولي.